حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يوليو– سبتمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

العصور الحجرية في بلاد اليونان القديمة (دراسة تاريخية)

د/ رويدة فيصل موسى*

أستاذة التاريخ القديم المساعدة كلية الآداب– جامعة بغداد
mutazinad72@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/18
تاريخ قبول البحث: 2021/06/12
تاريخ النشر: 2023/09/30

المستخلص:

تشكل العصور الحجرية في بلاد اليونان القديمة الحجر الاساس في نمو وتشكل الحضارة اليونانية القديمة التي قدمت من خلال معطياتها الحضارية البوادر الاولى لبناء الحضارة وتشكلها في القارة الاوربية. فحين كان الانسان في العصر الحجري القديم متنقلاً غير مستقر يعتمد في اقتصاده وحياته المعاشية على الصيد وجمع القوت كانت وسائل التعبير عنده تتصل اتصالاً وثيقاً بهذه المؤثرات والظروف، فكانت صناعاته الحجرية والتفنن فيها من اهم الوسائل التي صب فيها قدراته واحاسيسه، حتى بدأ بالتطور نحو الحياة الزراعية والاستقرار في العصر الحجري الحديث، اذ تبدلت الحياة الاقتصادية تبدلاً جوهرياً وتبع ذلك تغير أدواته واساليب حياته اليومية، فظهرت صناعات جديدة تتسم بتصميمها عقلياً قبل تنفيذها عملياً كالبناء والعمارة والصناعات الفخارية وصولا الى بناء مجتمع يتسم بالرقي والتقدم.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

تمهيد

تعد بلاد اليونان منذ القدم الى يومنا هذا جزء من القارة الاوربية، لقد نشأت اولى السلالات البشرية فوق ارضها منذ ان بدأ الانسان يبحث عم سبل الحياة والتأقلم مع الواقع البيئي والطبيعي الذي فرضته طبيعة وجوده على هذه الارض، ومما لا شك فيه ان الانسان الاول لم يكن يمتلك مبررات واضحة من اجل اختيار حياته ونمط معيشته وطبيعة علاقاته مع افراد اسرته كإنسانية مطلقة من جهة ومع ما حوله من حيوانات ومسطحات مائية ومرابع خضراء وما كان يصاحب تلك البيئة المتحولة عبر فصول السنة من متغيرات جوية وظواهر كونية.

فلو اخذنا بنظريات العلم المعاصر على سرعة تغيرها، قلنا ان الكائن الذي اصبح فيما بعد انسانا حين تعلم الكلام، كان احد الانواع القادرة على الملائمة بين نقسها وبين البيئة، التي بقيت بعد هذه القرون المتجمدة بجليدها، وبينما كان الجليد يتراجع في المراحل التي تتوسط العصور الجليدية استكشف هذا المخلوق العجيب النار، وطور فن نحت الصخر والعظم ليصنع اسلحة وآلات، فمهد السبيل بذلك لقدوم المدنية[1]. ان الاثار الثقافية لهذه الانماط البشرية التي بقيت في اوروبا من العصر الحجري القديم تقع في سبعة اقسام رئيسة تختلف باختلاف المواضع التي وجدنا فيها اقدم الاثار او اهمها في فرنسا، وجميعها يتميز باستخدام الات غير مصقولة، والاقسام الثلاثة الاولى منها قد تم لها التكوين في الفترة المضطربة التي توسطت العصرين الجليدين الثالث والرابع .[2]

يقول (آرنولد توينبي) ان المجتمعات البدائية كما نتعرف اليها، بالملاحظة المباشرة، يمكن تشبيهها بنيام خاملين على حافة احدى الجبال، يرتفع فوقهم منحدر سامق خطير، وتحتهم هوة سحيقة، واما الحضارات فيمكن تشبيهها برفاق أهل الكهف هؤلاء النائمين في (افسوس) الذين وقفوا على اقدامهم لتوهم واخذوا يتسلقون المنحدر صعد[3]. ان الاقوام البدائية هي اقوام اسهمت في بناء الحضارة كما وصفها (ديورانت) وكانت المجتمعات البدائية هي اولى نتاج هذه الاقوام كما عبر عن وصفها المؤرخ (توينبي) في حديثه. من خلال ما تقدم فان الانسان القديم بدأ يستقر فيما بعد في مستوطنات صغيرة تحولت الى قرى العصر الحجري الحديث، وتطورت بعضها الى مدن محصنة في العصر الحجري النحاسي والعصور اللاحقة، اعتبرنا ثورة العصر الحجري التي قبلت اسس حياة المجتمعات البشرية وارست دعائم المادية التي تطورت عنها الحضارة البشرية فيما بعد[4]، لقد وضعت تلك المعطيات الحضارية الاسس التاريخية لبدايات تشكيل الحضارة الاولى في العالم، ومنذ نشأة البشرية على وجه الارض، من هنا انبثقت اولى مظاهر التحضر في مختلف العصور الحجرية ولاسيما في القارة الاوربية التي تعد مهداً لتطور الحضارة اليونانية فيما بعد.

لقد درج علماء الاثار على تسمية عصور ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية، لان معظم الآلات والادوات التي في تلك العصور كانت تصنع من الحجارة بالدرجة الاولى، والقليل منها كان يصنع من الخشب والعظام

والقرون والعاج والاصداف. وتعارف هؤلاء العلماء على تقسيم هذه العصور الى ثلاثة عصور رئيسة، هي العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الوسيط، والعصر الحجري الحديث، اذ استمرت صناعة الآلات الحجرية في بداية عصر تصنيع النحاس، لذلك سمي بالعصر الحجري البرونزي او المعدني[5]. ان مرحلة ما قبل التاريخ هي تاريخ للحياة الاجتماعية ومجموعة القدرات الاجتماعية والجسدية التي تدعم اجتماعيتنا كما تحدد الثقافة المادية[6]، وان تلك الثقافة اصبحت سلوكاً حاضراً في هذه العصور المهمة من تاريخ نشأة الانسان على وجه الارض.

ان دراسة تاريخ العصور الحجرية ولاسيما في القارة الاوربية لابد له ان يتعرف اولا على حياته الاقتصادية وظروف البيئة الاخرى التي عاشها والتي لها انعكاساتها في الاساليب الفنية التي اتبعها في الانتاج، فحين كان الانسان في العصر الحجري القديم متنقلاً غير مستقر يعتمد في اقتصاده وحياته المعاشية على الصيد وجمع القوت كانت وسائل التعبير عنده تتصل اتصالاً وثيقاً بهذه المؤثرات والظروف، فكانت صناعاته الحجرية والتفنن فيها من اهم الوسائل التي صب فيها قدراته واحاسيسه، حتى بدأ بالتطور نحو الحياة الزراعية والاستقرار في العصر الحجري الحديث، اذ تبدلت الحياة الاقتصادية تبدلاً جوهرياً وتبع ذلك تغير أدواته واساليب حياته اليومية، فظهرت صناعات جديدة تتسم بتصميمها عقلياً قبل تنفيذها عملياً كالبناء والعمارة والصناعات الفخارية وغيرها[7]. لقد حقق الانسان الاول في العصور الحجرية ضمن القارة الاوربية نتاجاً حضارياً مهماً من حيث الادوات والمعدات والاسلحة وتطور هائل في التعبير الرمزي من خلال الرسوم التي كان يرسمها داخل الكهوف التي تعد المأوى او المسكن الاول في تاريخ وجود البشرية، وكانت مضامين تلك الرسوم المتعلقة بمراحل الصيد والحيوانات التي كان يتعرض اليها باستمرار كالماموث او الفيل العملاق، والنمر المسيف والبيسون وهو ثور ذو هيئة عظيمة في الحجم والشكل فضلاً عن الخيول ووحيد القرن .[8]

وفي اليونان عثر في مغارة (بيترا لونا) في (جالكيديك) اقدم هيكل عظمي بشري عثر عليه حتى الان في اوروبا، اذ يرجع تاريخه الى نحو سنة (40000ق.م) كما وقدمت لنا دليلاً على استعمال النار قبل تاريخ هذا الهيكل العظمي، هذا الاكتشاف الذي يعد فتح عهد جديد في المعرفة، يؤثر في فكرتنا العامة عن ظهور الانسان[9]. ويمكننا دراسة تلك العصور الحجرية الثلاث ومعطياتها التاريخية ويمكن تقسيم عصور ما قبل التاريخ في اليونان وكما يأتي:

1- العصر الحجري القديم (الباليوليت) (500000- 12000ق.م).

2- العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) (12000- 7000ق.م).

3- العصر الحجري الحديث (النيوليت) (7000- 4000ق.م).

4- العصر الحجري المعدني او البرونزي (الكالكوليت) (3000- 1900ق.م) .[10]

المبحث الاول:العصر الحجري القديم (الباليوليت) (500000- 12000ق.م)

يقسم هذا العصر الى ثلاث فترات، هي (البالوليت الاسفل، والبالوليت الاوسط، والبالوليت الاعلى) التي ظهرت فيها انواع مختلفة من الانسان وهي على التوالي (الانسان المنتصب القامة) و(انسان النياندرتال) و(الانسان العاقل)[11]. اذ وجدت العديد من الاثار التي تبين لنا اشكال العظام والجماجم ولاسيما عظم الفك لإنسان هذا العصر في مناطق بالقرب من (دسلدوف) في المانيا التي عثر عليها سنة 1857م، ويعود تاريخها فيما يظهر الى نحو (40000ق.م) وهي تشبه البقايا البشرية التي كشف عنها في بلجيكا وفرنسا واسبانيا بل وعلى شواطئ بحر (جاليلي) حتى صور العلماء عصراً باسره من انسان (النياندرتال) ساد اوروبا منذ اربعين الف سنة قبل عصرنا هذ، وكانت صفات هؤلاء الناس قصاراً، وتبلغ سعة الجمجمة الواحدة منها (1600سنتمتر مكعب) اي انها اكبر من جمجمة الرجل اليوم بمائتي سنتمتر مكعب[12]. لقد كان الانسان في هذا العصر ضعيفاً امام قوى الطبيعة وظل الانسان البدائي آلاف السنين يجاهد جهاداً عنيفاً ضد الاخطار المحدقة به، لقد كان الانسان البدائي الاول في هذا العصر مستهلك فقط يصطاد الحيوانات ويتناول الثمار الجاهزة (مرحلة جمع القوت) وفيما اجرى الانسان بعض التحسينات على ادوات العمل وذلك بربط القطع الحجرية الحادة بقطع خشبية ومن الخطأ تعيين المعنى الوظيفي لهذه الادوات لكنها تدل على ان الانسان في تلك الفترة اصبح يدرك نوعية الالة بالنسبة للعمل .[13]

تميز سكن انسان العصر الحجري القديم ولاسيما في اوروبا بانه كان يسكن الكهوف والملاجئ الصخرية نظراً للطبيعة الجبلية التي تمتاز بها القارة الاوربية، وكانت تعد بمثابة منازل الانسان الطبيعية، وتوجد عادة في المناطق الجبلية والهضاب، والمرتفعات، سكنها الانسان منذ هذا العصر في الليل خاصة وفي الفصول المطيرة والباردة من السنة، وقد تستمر سكنى بعض الكهوف لعصور متعاقبة تالية للعصور الحجرية حيث تكون عادة سكنى وقتية لأناس جبليين ورعاة يقصدونها في بعض مواسم السنة الشديدة البرودة والامطار، وقد وجدت تلك الكهوف منتشرة في القارة الاوربية في اسبانيا وفرنسا[14]. لقد شهد العصر الحجري القديم في اوروبا تطوراً في طبيعة صناعة الات الصيد، اذ استخدم الانسان الصيد بالقوس والسهم من خلال الرسوم التي ظهرت في الكهوف[15]. وتعود الدلائل لوجود الانسان في بلاد الاغريق الى هذا العصر، اذ عثر على الات وادوات حجرية

قرب نهر (بنيوس) (Peneus) في مقاطعة (تسلي) (Thessaly) يعود تاريخها الى العصر الحجري القديم والمتوسط، كما عثر على جمجمة انسان (نياندرتال) قرب (بترالونا) (Petralona) في (جالسيديا) (Chalicidia) سنة 1960م .[16]

تميزت رسوم هذا العصر بانها بسيطة وساذجة فليس فيها تفاصيل، وكأن هذه الرسوم مشابهة للرسوم ذات المواضيع الحيوانية التي يرسمها الفنانون المعاصرون، ولعل ما هو اكثر غرابة ان فن صيادي الوعول كان مليئاً بالحياة والحركة، اذ كان الانسان يسعى لإبراز الحيوانات في اوضاعها الحية الطبيعية[17]. اما الرسوم الادمية فكانت قليلة جداً ومحورة، ويجدر بنا الاشارة الى ان هذه الرسوم المحفورة على الادوات او القطع العاجية او الكتل الحجرية، كما كان السحر عاملاً مهماً جداً في نتاجات العصر الحجري القديم، اذ يرجح ان الانسان القديم كان يرمي من وراء رسم الحيوان ان يسحره بحيث يسهل صيده، اي ان الرسم في هذه الحالة كان وسيلة سحرية للحصول على الغذاء[18]. وقد وصف (ديورانت) نتاج الانسان في العصر الحجري القديم في دول اوروبا الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط، في كريت وايطاليا وفرنسا واسبانيا انها قد وصلت الى مرحلة عالية من النضوج من حيث الصنعة والانتاج والاداء، وان جاز التعبير ان اهل العصر الحجري القديم فنانون محترفون، وان هناك بينهم همجاً يسكنون الكهوف الحقيرة، ويصنعون بأيديهم اشياء وصلت الينا فأصبحت تحفاً[19]. ان نهضة انسان العصر الحجري القديم لاسيما في اوروبا كانت بمحاولته السكن واللجوء الى الكهوف طلباً للدفء والامان، هو احساسه المطلق بالانتماء الى المكان الذي يحويه ويلجأ اليه من افتراس الحيوانات القاتلة، ففي هذا العصر بدأت الجبال الثلجية تذوب وتتلاشى، فبدأت الشعوب تهاجر نحو المراعي الخضر والاراضي الخصبة .[20]

المبحث الثاني: العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) (12000- 7000ق.م)

يأتي هذا العصر الذي بدأ بذوبان جليد (فرم) في اوروبا وابتداء الفترة غير الجليدية الرابعة ويسمى هذا العصر بعصر الادوات الدقيقة (المايكروليت) التي سادت هذا العصر وتميزت ثقافات هذا العصر فيما بينها بنوع من الادوات الحجرية الدقيقة التي استخدمت في كل واحدة منها وبطريقة العيش بحيث كان الانسان يلتجئ الى الكهوف في الشتاء اما في الصيف فكان يستخدم الاكواخ المصنوعة من الاخشاب واغصان الاشجار[21]. لقد شهد هذا العصر تحولاً كبيراً في حياة الانسان الاول الذي بدأ يفكر في طريقة حياته وممارساته الحياتية والية تكيفه مع الطبيعة ومكوناتها البيئية الاخرى لاسيما في القارة الاوربية والمناطق الساحلية على البحر المتوسط.

من خلال التنقيبات الاثرية عثر على آلات متنوعة عملت من حجر الصوان والعظام والاحجار الاخرى، وقد صنع الانسان في هذا العصر ايضا، الازاميل والمطارق والمثاقب والمصاقل والمقاشط، وتمكن بالآلات

الجديدة الحادة من تقطيع العاج والعظام والقرون لاسيما قرن غزال الرنة، اما العاج فكان يمده به الماموث (وهو ضرب من الافيال البائدة المنقرضة)، كما صنعت الرماح وتطورت صناعة اقواس الصيد والنبال، كما اخذ الانسان يخيط جلود الحيوانات ويكتسي بها اتقاء البرد والنباتات الشائكة، وذلك بدليل وجود أبر الخياطة البدائية المصنوعة من العاج بين الاثار التي بقيت الى يومنا هذا .[22]

وتطور العمل في استعمال العظام من قرون الايل والعاج، اذ صنعت من هذه المواد اشياء بسيطة مثل المخارز والرماح واخرى اكثر تعقيداً كالعصي المثقوبة، فضلاً عن الادوات العظيمة والخشبية .[23]

لقد تميزت رسوم انسان العصر الحجري الوسيط عن رسوم انسان العصر الحجري القديم، فالأولى أخذت اشكالاً اصطلاحية حددت بالخطوط كذلك باللون وخالية من التدرج اللوني على عكس رسومه في العصر الحجري القديم، اذ اخذ الانسان في هذا العصر يؤكد على الحركة كذلك على العضو الفعال لتلك الحركة كالأيدي الماسكة بالقوس والرماح والارجل الراكضة ومشاهد الصيد والرقص على عكس رسوم انسان العصر الحجري القديم حيث كانت الرسوم مبعثرة .[24]

من خلال ما تقدم فقد عد هذا العصر ولاسيما في مناطق وسط اوروبا هو عصر الانسان العاقل نوعنا الحالي، اذ جرت محاولات منذ مطلع القرن الماضي لدراسة الانسان في مختلف المناطق، وحاول البعض ان يجدوا في فرنسا أصل العروق الابيض والاسود والاصفر من خلال الهياكل التي اكتشفت في مواقع مختلفة هناك، بيد ان هذا الرأي غير معتمد الان، على الرغم من انه لم يتم بعد تفسير تلك الاختلافات التشريحية القائمة بين الهياكل المكتشفة في تلك المواقع، ومهما تكن هذه الانماط المختلفة فان النوع البشري الجديد قد برهن بأشكال مختلفة، على قدرته الخلاقة، ففي اطار السكن تزايدت البيوت المبنية في العراء مما يدل على تكيف اكثر فاعلية، اثناء الفصول الباردة .[25]

المبحث الثالث: العصر الحجري الحديث (النيوليت) (7000– 4000ق.م)

ويسمى هذا العصر بعصر الانقلاب الحضاري كما اطلق عليه (ول ديورانت) فلانقلاب الحضاري الاول تمثل في انتقال الانسان من الصيد الى الزراعة، والانقلاب الثاني هو انتقاله من الزراعة الى الصناعة، وفي الوقت نفسه كان انسان العصر الحجري الحديث يقيم أساساً آخر من اسس الحضارة، هو استئناس الحيوان وتربيته، ولاشك ان هذا العمل قد استغرق حيناً طويلاً من الدهر، قد تكون بدايته أسبق تاريخاً من العصر الحجري الحديث، فحب الانسان بغريزته للاجتماع بغيره، ربما كان عاملاً مساعداً على اتصال الانسان بالحيوان .[26]

ان نقطة التحول من حياة الصيد الى حياة الزراعة كانت خلال الفترة الانتقالية بين العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث الذي تعود بدايته في بلاد الاغريق الى حوالي الالف السابعة قبل الميلاد، ولما كانت حياة الانسان هناك خلال هذه الفترة تعتمد على الري بشكل رئيس، ذلك لعدم معرفة المحراث، الامر الذي أخر انتشار الزراعة، فقد تركز تواجد هؤلاء الرعاة حول خليج (ارغوس) (Argos) في حقول (تسلي) (Thessaly) و(بويوشيا) (Boeotia) ويبدو ان الحال قد استمرت على هذا المنوال لفترة زمنية طويلة، وكان قد عثر الات حجرية في جزر بحر ايجه تعود الى العصر الحجري الحديث، مما يعطي اهمية لحجم الفكر الاغريقي الاول.[27]

لقد تحول الانسان في العصر الحجري الحديث من مستهلك الى منتج، بفعل التقدم الكبير في الزراعة وتربية الحيوانات واستئناسها، وحفر الترع والتقدم التقني الكبير في ميدان الزراعة والحراثة، اذ اخترعت الات حفر التربة وجني المحصول، وتخزين الثمار، وطرائق الطهو، وحفظ الفائض من انتاجه الزراعي في اواني فخارية صنعها من الطين ثم الطين المشوي[28]. كما ظهرت في بلاد الاغريق ضمن هذا العصر المتحول تقنياً واجتماعياً ظهور الاكواخ المستديرة المبنية من الطوب النئ (اللبن) والمرتكز على قاعدة من الحجر والاواني الفخارية الملونة وظهر تلك البوادر المهمة لمظاهر العصر الحجري الحديث في (كريت) وفي بلاد اليونان او الاغريق (تسلي) (Thessaly).

انتشرت المستوطنات في العصر الحجري الحديث في جميع انحاء اليونان، وبشكل خاص في سهول (تسلي) حيث تقع هناك اثنين من اهم المستوطنات (سيسكلو) و(ديميني) وكان ترتيب المساكن مع الشوارع والساحات للتسوية تشكل اول الاشكال المعمارية[29]. كما صنع انسان العصر الحجري الحديث ولاسيما في اليونان العديد من الادوات والاواني الفخارية التي كان يستعملها في حفظ المواد الغذائية كالحبوب وتخزينها فضلاً عن صناعة اواني للشرب .[30]

وظهرت آثار العصر الحجري الحديث في مدينتي (كنوسوس) و(فيستوس) تحت القصور المشهورة هناك، فقد امدتنا الحفريات ببقايا الاواني الفخارية الملونة بالرمادي والاحمر والمزخرفة او الخالية من الزخارف، كذلك عثر على ادوات زراعية من الحجر الرملي الجيري، وهناك تماثيل صغيرة للآلهة الام على شكل امرأة مترهلة الجسم وغالبا في وضع الجلوس[31]. كما عثر على تماثيل بدائية محورة من الطين المحروق بعضها في بلاد اليونان، كما عثر في (كريت) على تماثيل من الطمى شديدة التحوير وهي تمثل اشخاصاً قاعدين والرؤوس خالية من التفاصيل، ويعبر عن الذراعين والرجلين بمجرد تضخم في اعلى التمثال وفي اسفله، وفي (تسلي) عثر على عدد اخر من التماثيل اذ فصلت فيها اجزاء الجسم بعض التفاصيل مع عدم مراعاة اي تناسب بينهما، وعبر فيها

عن بعض ملامح الوجه وعن الشعر واصابع اليدين والقدمين، كما عثر على بعض الرؤوس الحجرية عليها غطاء رأس يشبه العمامة، وتماثيل لنساء بعضها يحمل اطفالاً، ويبدو انها متطورة عن تماثيل العصر الحجري القديم، مثل (فينوس فلندروف) التي عثر عليها على الدانوب، وربما كانت هذه التماثيل رمزاً للخصوبة والنسل كما اشرنا سابقا .[32]

كما قام انسان العصر الحجري الحديث في (تسلي) بابتكار طرز جديدة في بناء المساكن، اذ استقر الفلاحون في اكواخ متواضعة مستديرة او بيوت مستطيلة الشكل، اما الفخار الذي استعملوه آنذاك فقد كان فخاراً بسيطاً ابيض مطلياً بالأحمر وامتدت حضارتهم هذه الى وسط اليونان والبلونونيز واثينا، وابان المرحلة الثانية فقد انتشرت غرب وشرق (تسلي) تماثيل الالهة الام الصغيرة والبسيطة، وسكن الفلاحون في بيت من طراز (الميغارون) الذي هو عبارة عن بناء مستطيل ذي ردهة امامية وموقد في الوسط، وكان فخارهم مطلياً بطلاء لامع يسمى (البرنيق) وعليه زخرفة متعددة الالوان، بعضها حلزوني او مزين بالأشرطة الفخارية .[33]

وقد بدأت المستوطنات تتطور في جزيرة (كريت) وان كان عدد سكان الواحدة منها لا يتجاوز مئات في ابعد تقدير، تتخذ اكثر فاكثر، شكل مدن صغيرة، كانت الزخارف والنقوش على مصنوعاتهم الفخارية تتضمن صوراً تقليدية لرجال في زوارق، وكانوا يدفنون موتاهم في قبور منقورة في الصخور، او في قبور مبنية من الحجارة، وكان ظهور الاسلحة، بشكل ظاهر بين الاشياء التي تدفن مع الميت نذير شؤم وبلاء عظيم .[34]

وكان العالم البريطاني (آرثر ايفانز) قد عثر في هذه المنطقة على طبقات أثرية بلغ عمقها نحو (43قدماً) ضمت الطبقات السفلى بقايا تعود الى العصر الحجري الحديث في (كريت) وقد وجد في تلك الطبقات فخاراً يدوي الصنعة بدائي الزخرفة وعثر كذلك على مغازل يدوية وتماثيل من الصلصال للآهات متضخمات الارداف واسلحة وحجارة مصقولة وكانت تلك الطبقات الاثرية المبكرة خالية من اي استعمال للنحاس او البرونز، وقد قدر (ايفانز) ان (كريت) عاشت حياة العصر الحجري الحديث ما بين السنوات (8000– 3000ق.م) حيث بدأت تظهر الادوات النحاسية .[35]

المبحث الرابع:

العصر الحجري المعدني او البرونزي (الكالكوليت) (3000– 1100ق.م)

يعد النحاس المعدن الاول الذي استخدمه الانسان في هذا العصر لاسيما في اوروبا، منذ نحو سنة (6000ق.م)، وقد طور الانسان استعمال النحاس في الحياة اليومية. اما البرونز فقد وجد في الاثار الاغريقية في

(كريت) التي تعود الى نحو (3000ق.م)[36]. ويسمى هذا العصر بعصر النحاس وفيه استعمل هذا المعدن الخام بعد طرقه او صهره في صناعة الات ثم استطاع الانسان ان يخلط النحاس بالقصدير ويحصل على معدن اكثر صلابة وهو البرونز .[37]

يبدأ تاريخ بلاد اليونان بنهاية العصر الحجري الحديث نحو (3000ق.م) الذي تلاه عصر البرونز او العصر المعدني الذي استمر حتى (1100ق.م)، وفي أوائل عصر البرونز دخل اليونان مجموعة من المستوطنين ربما وفدوا من جنوب غرب آسيا الصغرى، نحو (1900ق.م) اذ دخل اليونان الاغريق الاوائل الذين سموا (الآخيين) (وهو الاسم الذي اطلقه عليهم هوميروس)، وكانوا يعرفون أقدم صور اللغة اليونانية، وهي اللغة التي تنتمي الى مجموعة اللغات الهندو اوربية مع تأثيرات فينيقية ثم لاتينية خلال العصر الهللينستي[38]. لقد كانت (كريت) آنذاك صلة وصل بين البلدان المتحضرة في العهود القديمة، ويضع (هوميروس) الفكرة هذه في العبارات الاتية:

ثمة في وسط البحر الواسع...

جزيرة اسمها كريت..

رائعة وخصبة، معطاء، وغاصة بالسكان...

تلتحق بها 90 مدينة جميلة... (اوديسة، اغنية 19، 172 وما بعدها). وفي الحقبة ذاتها بلغت (كريت) قمة التحضر في التعدين واستعمال القصدير والنحاس ومن ثم البرونز، حتى بلغ اقتصادها مستوى استثنائياً .[39]

لقد نشأت حضارة بحر ايجه بعد اكتشاف شعب المنطقة لكيفية صنع البرونز وفي اثناء تلك الفترة التي تسمى بالعصر البرونزي الايجي اكتسب الناس مهارة عالية في فن المعمار، والتصوير الزيتي والحرف المختلفة، وقاموا بتشييد قصور كثيرة الزخرفة، كما استخدموا انظمة للكتابة، ويصنف العصر البرونزي الايجي كأحد اهم العصور الفنية والثقافية في التاريخ وقد دام ذلك العصر من سنة (3000ق.م) حتى نحو سنة (1100ق.م)[40]. من خلال ظهور البرونز انتقل الانسان الاوروبي من الفلاحة الى المدنية، فقد بدأت المدن بالظهور واستطاع الانسان ان يطور ادواته الزراعية والحياتية بسهولة، ان الشيء الجوهري بالنسبة الى مجتمعات عصر البرونز هو التنقيب عن المناجم (نحاس، قصدير، ذهب) وتصديرها على شكل سبائك غالباً جداً، واحيانا على صورة منتجات جاهزة، وقد نشأت مجموعات كبيرة من البشر في اوروبا، في هذا العصر تمثل الشعوب التاريخية والسلافيين، وكانت طلائع عصر البرونز قد ظهرت في بحر ايجه وتحديداً في جزر (الكليكليدس) .[41]

وكان انسان هذا العصر قد توصل الى استحداث البرونز نتيجة خلط معدني النحاس بالقصدير، وربما كان ذلك بمحض الصدفة، ومهما كانت الاسباب فقد توصل الانسان الى اكتشاف معدن جديد يصلح لصناعة الادوات وذلك لمتانته وسهولة تشكيله، ومع ذلك فلم تختلف حياة الانسان في العصر البرونزي كثيراً عنها في العصر الحجري الحديث، اذ ظل يستعمل بعض ادواته الحجرية بل انه شكل ادواته البرونزية على هيئة ادواته الحجرية[42]. فقد احتل التعدين المقام الاول خلال هذه الفترة التاريخية المهمة من بلاد الاغريق، اذ صنعوا من البرونز بلطات متقنة مزدوجة، خناجر، سيوفاً بطول المتر، دقيقة وصقيله وحادة، وحلي النصل بالذهب .[43]

ازدهرت صناعة الفخار في العصر البرونزي الذي يعد عصر التقدم التقني في بلاد الاغريق، الذي سبق عصر الحضارة الميكينية بفترة طويلة[44]. وقد استعمل دولاب الخزاف والفرن المتقن، بأناقة الاشكال والرسوم التزينية، اذ بدأت تلك الفخاريات الكريتية تصدر الى مصر وسوريا والى ابعد مكان في الشرق. كما تطورت الزراعة وتم سبك النقود من سبائك نحاسية بأبعاد واوزان مختلفة[45]. كما كان الفخار المطلي باللون الاسود، والرمادي، يختلف اختلافاً كبيراً عن فخار (تسلي) المصبوغ في هذه الفترة المبكرة المهمة، واغلب الظن ان رؤساء (طروادة) كانوا قد اخذوا يشربون بأقداح وكؤوس الذهب والفضة .[46]

وفي كريت ظهرت التماثيل الصلصالية طبقاً للتقاليد الشعبية السائدة، ولم نر القصور تسهم في انتاج هذا النوع من التماثيل، اذ ان الهدف الرئيس من انتاجها كان وضعها قرباناً في المحاريب، وما لبثت الطرز الطبيعية الرقيقة ان اعقبت طرز التحوير الهندسي، غير انها خلت من الابداع الفني واقتصرت على صور النساء والجنود المؤمنين بربة المحراب، فنرى تماثيل شبحية في غاية البساطة، نحيلة الخصور لا تنطوي على قيمة تشكيلية هامة، متغاضية عن البناء الواقعي للجسم، مضيفة بعض التفاصيل الطريفة مثل قبعات النساء .[47]

كما يؤكد (ديورانت) ان هذا العصر قد شهد تطوراً في الكتابة الهيروغليفية التي ظهرت في (كريت) نحو سنة (1600ق.م)[48]. اذ كانت العمليات الاقتصادية والتبادلات التجارية مدونة بدقة بكتابة متطورة، كانوا يكتبون على صفائح من الفخار، بحروف هيروغليفية، وفيما بعد اي نحو سنة (1700ق.م) ظهرت الكتابة السطرية (A)، التي تحولت بعدئذ الى الكتابة (B)، بيد ان اي واحدة من الاثنين حلت رموزها تماماً، (فأنتريك) و (شادويك) لم ينجحا في سنة (1053م) الا بحل رموز (B) الاحدث، ولم نعرف تماماً معاني النصوص الكريتية القديمة التي نمتلكها اليوم، وتجدر الاشارة الى ان النظام الاجتماعي في هذا العصر كان قد شهد تطوراً كبيراً بتطور القوى المنتجة[49]. وبعد معرفة التجارة وركوب البحر زاد المشتغلين في هذا الميدان، واضيف عامل اقتصادي جديد ساعد

في تغيير التركيبة الاجتماعية، كما اسهم في عملية التطور الحضاري، فقد بنيت بعض البيوت من الحجارة بدلاً من الطين، وبرز بعض المتخصصين في هذه الاعمال والصناعات المختلفة التي اقتضتها الحياة الجديدة، وتعد آثار مدينة (ليرنا) (Lerna) الواقعة قرب خليج (اركوس) خير دليل على ذلك[50]. من خلال ما تقدم يعد العصر البرونزي المعدني في كريت هو بداية للعصور التاريخية لبلاد الاغريق القديمة.

الاستنتاجات:

خرج البحث بعدة استنتاجات وكما يأتي:

1- حقق الانسان الاول في العصور الحجرية ضمن القارة الاوربية نتاجاً حضارياً مهماً من حيث الادوات والمعدات والاسلحة وتطور هائل في التعبير الرمزي من خلال الرسوم التي كان يرسمها داخل الكهوف ولاسيما في بلاد اليونان القديمة.

2- ظلت الكهوف لعصور متعاقبة تالية للعصور الحجرية تعد اماكن السكن الاولى اذ تكون عادة سكنى وقتية لأناس جبليين ورعاة يقصدونها في بعض مواسم السنة الشديدة البرودة والامطار، وقد وجدت تلك الكهوف منتشرة في القارة الاوربية في اسبانيا وفرنسا.

3- تميزت رسوم العصر الحجري القديم في بلاد اليونان بانها بسيطة وساذجة فليس فيها تفاصيل، وكأن هذه الرسوم مشابهة للرسوم ذات المواضيع الحيوانية التي يرسمها الفنانون المعاصرون .

4- شهد العصر الحجري الوسيط في بلاد اليونان تحولاً كبيراً في حياة الانسان الاول الذي بدأ يفكر في طريقة حياته وممارساته الحياتية والية تكيفه مع الطبيعة ومكوناتها البيئية الاخرى لاسيما في القارة الاوربية والمناطق الساحلية على البحر المتوسط.

5- تميزت رسوم انسان العصر الحجري الوسيط في بلاد اليونان القديمة عن رسوم انسان العصر الحجري القديم، فالأولى أخذت اشكالاً اصطلاحية حددت بالخطوط كذلك باللون وخالية من التدرج اللوني على عكس رسومه في العصر الحجري القديم.

6- يعد العصر البرونزي الايجي العصر الاكثر تحولا في تاريخ اليونان القديمة اذ اكتسب الناس مهارة عالية في العمارة، والرسم والحرف المختلفة، وقاموا بتشييد قصور كثيرة الزخرفة، كما استخدموا انظمة للكتابة، ويصنف العصر البرونزي الايجي كأحد اهم العصور الفنية والثقافية في التاريخ .

7- قام انسان العصر الحجري الحديث في (تسلي) بابتكار طرز جديدة في بناء المساكن، اذ استقر الفلاحون في اكواخ متواضعة مستديرة او بيوت مستطيلة الشكل، اما الفخار الذي استعملوه آنذاك فقد كان فخاراً بسيطاً .

Abstract

The Stone Ages in Ancient Greerce

By: Ruwaida Faisal Musa

The stone ages in the countries of ancient Greece constitute the cornerstone of the growth and formation of the ancient Greek civilization, which presented through its cultural data the first signs of building and shaping civilization on the European continent. When a person in the Paleolithic era was mobile and unstable, relying in his economy and subsistence life on hunting and gathering food, his means of expression were closely related to these influences and conditions, so his stone industries and sophistication were among the most important means in which he poured his abilities and feelings, until he began to develop towards agricultural life And stability in the Neolithic era, when economic life changed fundamentally, and its tools and methods of daily life followed, so new industries emerged that were mentally designed before they were practically implemented, such as construction, architecture, and pottery industries, leading to building a society characterized by sophistication and progress.

الهوامش

[1]ديورانت، ول: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1956م)، ج1، ص156.

[2]المصدر نفسه، ص159.

[3]فرانكفورت، هنري: فجر الحضارة في الشرق الادنى، تر: ميخائيل خوري، (بيروت: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1965م)، ص25.

[4]الذنون، عبد الحكيم: بدايات الحضارة، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2009م)، ص7.

[5]الدباغ، تقي: الوطن العربي في العصور الحجرية، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1988م)، ص7.

[6]شعبان، ياسر: ما قبل التاريخ من الصمت المطبق لنظريات التطور، (القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، 2014م)، ص49.

[7]عبد الله، عبد الكريم: فنون الانسان القديم اساليبها ودوافعها، (بغداد: مطبعة المعارف، 1973م)، ص11.

[8]John E. Pfeiffer, The Search for Early Man, (New York; American Heritage Publishing, 1963), p.95.

[9]برن، اندرو روبرت: تاريخ اليونان، تر: محمد توفيق حسين، (بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب 1989م)، ص13.

[10]الماجدي، خزعل: الفن الاغريقي، (بيروت: دار الرافدين، 2017م)، ص13.

[11]الماجدي: الفن الاغريقي، ص29.

[12]ديورانت: قصة الحضارة ، ص158.

[13]فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1980م)، ص15.

[14]ابو الصوف، بهنام: قراءات في الاثار والحضارات القديمة، (بغداد: دار نجم المشرق، 2008م)، ص103.

[15]كورتل، ليونارد: الموسوعة الاثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد وزكي اسكندر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م)، ص152.

[16]الشاوي، ناصر عبد الواحد: تاريخ الفن الإغريقي، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2001م)، ص7.

[17]بهنسي، عفيف: الفن عبر التاريخ، (دمشق: الفن الحديث العالمي، ب.ت)، ص14. وينظر: **(John E. Pfeiffer, p.102).**

[18]الباشا، حسن: الفنون في عصور ما قبل التاريخ، (بيروت: اوراق شرقية، 2006م)، ص27. وينظر: ديورانت: قصة الحضارة، المصدر السابق، ص166.

[19]قصة الحضارة ، ص167، 168.

[20]عبد الجواد، توفيق احمد: تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2014م)، ص11.

[21]الماجدي: الفن الاغريقي ، ص30.

[22]فارس: تاريخ الفن القديم ، ص20.

[23]اور، فرنسيس: حضارات العصر الحجري القديم، تر: سلطان محيسن، (دمشق: الف باء، 1995م)، ص126.

[24]فارس: تاريخ الفن القديم ، ص22. وينظر: عبد الله: فنون الانسان القديم، ص40.

[25]اور: حضارات العصر الحجري القديم ، ص153.

[26]قصة الحضارة ، ص171–172.

[27]الشاوي: تاريخ الفن الاغريقي ، ص7.

[28]طحان، محمد جمال: صناع الحضارة تاريخ الحضارة الانسانية عبر اعلامها، (دمشق: دار صفحات للنشر، 2010م)، ص11. وينظر: (فارس: تاريخ الفن القديم، ص21).

[29]الماجدي: تاريخ الفن الاغريقي ، ص30.

[30]ديورانت: قصة الحضارة ، ص174.

[31]الماجدي: تاريخ الفن الاغريقي ، ص31.

[32]الباشا: الفنون في عصور ما قبل التاريخ، المصدر السابق، ص98. وينظر: (عبد الله: فنون الانسان القديم، ص71).

[33]الماجدي: تاريخ الفن الاغريقي ، ص31.

[34]برن: تاريخ اليونان ، ص15.

[35]مكاوي، فوزي: تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1980م)، ص28.

[36]ديورانت: قصة الحضارة ، ص177.

[37]الناصري، سيد احمد: قضية التاريخ القديم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م)، ص59.

[38]الشيخ، حسين: اليونان، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992م)، ص20.

[39]دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2006م)، ج1،ص266.

[40]الطائي، ابتهال عادل ابراهيم: تاريخ الاغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني، (عمان: دار الفكر، 2014م)، ص33.

[41]الماجدي: الفن الاغريقي ، ص37.

[42]الباشا: الفنون في عصر ما قبل التاريخ ، ص94.

[43]دياكوف،: الحضارات القديمة ، ص267.

[44]يحيى، لطفي عبد الوهاب: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص292.

[45]دياكوف،: الحضارات القديمة، ص267.

[46]برن: تاريخ اليونان ، ص18.

[47]الماجدي: الفن الاغريقي ، ص43.

[48]قصة الحضارة ، ص183.

[49]دياكوف،: الحضارات القديمة ، ص268.

[50]الشاوي: تاريخ الفن الاغريقي ، ص8.

المصادر والمراجع:

1- ابو الصوف، بهنام: قراءات في الاثار والحضارات القديمة، (بغداد: دار نجم المشرق، 2008م).
2- اور، فرنسيس: حضارات العصر الحجري القديم، تر: سلطان محيسن، (دمشق: الف باء، 1995م).
3- الباشا، حسن: الفنون في عصور ما قبل التاريخ، (بيروت: اوراق شرقية، 2006م).
4- برن، اندرو روبرت: تاريخ اليونان، تر: محمد توفيق حسين، (بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب، 1989م).
5- بهنسي، عفيف: الفن عبر التاريخ، (دمشق: الفن الحديث العالمي، ب.ت).
6- الدباغ، تقي: الوطن العربي في العصور الحجرية، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1988م).
7- دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، (دمشق: منشورات دار علاء الدين،2006م)، ج1.
8- ديورانت، ول: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1956م)، ج1.
9- الذنون، عبد الحكيم: بدايات الحضارة، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2009م).
10- الشاوي، ناصر عبد الواحد: تاريخ الفن الإغريقي، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2001م).
11- شعبان، ياسر: ما قبل التاريخ من الصمت المطبق لنظريات التطور،(القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، 2014م).
12- الشيخ، حسين: اليونان، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992م).
13- الطائي، ابتهال عادل ابراهيم: تاريخ الاغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني،(عمان: دار الفكر، 2014م).
14- طحان، محمد جمال: صناع الحضارة تاريخ الحضارة الانسانية عبر اعلامها، (دمشق: دار صفحات للنشر،2010م).
15- عبد الجواد، توفيق احمد: تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2014م).
16- عبد الله، عبد الكريم: فنون الانسان القديم اساليبها ودوافعها، (بغداد: مطبعة المعارف، 1973م).
17- فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1980م).
18- فرانكفورت، هنري: فجر الحضارة في الشرق الادنى، تر: ميخائيل خوري، (بيروت: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1965م).
19- كورتل، ليونارد: الموسوعة الاثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد وزكي اسكندر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م).
20- الماجدي، خزعل: الفن الاغريقي، (بيروت: دار الرافدين، 2017م).
21- مكاوي، فوزي: تاريخ العالم الاغريقي وحضارته، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1980م).
22- الناصري، سيد احمد: قضية التاريخ القديم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م).
23- يحيى، لطفي عبد الوهاب: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م).
24- John E. Pfeiffer, The Search for Early Man, (New York; American Heritage Publishing, 1963).